

الآخر وحوار الذات : قراءة في ديوان رسالة الخلود للشاعر محمد إقبال

طلال الطاهر قطبي (*)

المُلخَص: تهدف هذه القراءة إلى الكشف عن المستويات الخطابية السائدة في فكر الأمة وبيان كيفية تعامله مع التصورات المعرفية والثقافية المعاصرة لإدراك المتغيرات في عصرنا الحاضر من ناحية، وإعادة بناء ما يظن أنه ثابت ومطلق من ناحية أخرى. ويتناول هذا البحث كذلك قضية التجديد من خلال تجربة الشاعر محمد إقبال، الذي حاول تقديم مشروع رؤية جديدة تحطم بها الأمة قوالبها المعرفية الضيقة وتتجاوز أحكامها الفكرية الجامدة وتنقل بها من التراث إلى الحداثة وذلك بتقديم أطروحة صحيحة لمفهوم الإسلام أو الدين.

الكلمات الأساسية: صراع الحضارات، التصورات المعرفية.

The other and dialogue self: Reading in Divan of M. Iqbal (Risalt Al-khloud)

Talal Al-Tahir Goutbi

Abstract: This Reading aims to detect the prevailing rhetoric levels temporary in Arab and Islamic thought in dealing with the perceptions and knowledge of understand the con cultural variables in the present days. This research addresses the issue of enlightenment through the experience of Muhammad Iqbal poet, who tried to submit a draft anew vision that out the nation cognitive beliefs beyond the narrow and rigid provisions of the intellectual and transmitted them to the heritage of modernity and providing correct vision of the concept of Islam

Key words: Cognitive perceptions, Interpretation.

المقدمة

هدفت هذه المقاربة إلى مناقشة أحد أهم القضايا التي يعيشها عالمنا المعاصر اليوم والمتمثلة في الصراع بين الإسلام والغرب وبين المسلمين أنفسهم ونلمح معالمها من خلال ما أثاره الشاعر محمد إقبال في ديوانه (رسالة الخلود) حينما تحدث عن سبل النهوض بالفرد والمجتمع بغية إصلاح النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من خلال النهوض بالذات. وفي الديوان كذلك نظم شعري تعرض لفلسفة الموت والحياة كما نلمح في الديوان حديث عن الشك واليقين والشيطان أمل أن أفرغ لهذا الأمر يوماً.

تحدث إقبال في فلسفته عن الذات الجماعية، التي كانت نتاج بزوغ مفهوم التقارب والتضامن بين الشعوب، حيث تقدمت الفكرة القائلة بأن في إمكان مجموعات كبرى من الناس أن تتوحد وأن تصون حرياتهما مثلما حدث من توحيد أوربا سياسياً دون التخلي عن هوية أقطارها، وكذا في إنشاء منظمات الأمم المتحدة ومن قبلها عصبة الأمم المتحدة، فما هما إلا محاولة للتقارب بين الشعوب لتحقيق وحدة الجنس البشري، تلك الوحدة التي يتطلع لها إقبال كما تجلت في ديوانه (رسالة الخلود) حينما عرف الإنسانية بأنها تعني احترام الإنسان والاعتراف بدرجته الرفيعة.

كما تحدث أيضاً عن الذات الفردية، وهي ذات اجتماعية. وقد أخذت الذات الفردية حيزاً كبيراً في فلسفة إقبال وتتمثل عنده فيما يلي:

1. إن الذاتية هي جوهر الكون وأساس نظامه وسر الحياة.
2. إن الذات تقوى بالعشق وتحى بالمقاصد وتنمو بالكدح والجهاد الدائم.
3. على الإنسان أن يظهر ذاته في قوله وفعله ويحذر التقليد والاعتماد على غيره وأن لا يجنح إلى الكسل والدعة.

وتكتمل فلسفة الذات عنده بالنظر إلى الحضارتين الإسلامية والغربية في حوارهما. ويرى أن تقوية الذات الفردية من شأنها أن تخلق حواراً قوياً مع الغرب دون الإحساس بالدونية أو التبعية وإنما التفرد والندية، لذلك يصف الأخطاء التي ارتكبتها أمم الشرق خاصة الترك والفرس والعرب في تعزيبهم لأنفسهم

ونحن في هذه القراءة سنسعى إلى التعرف إلى بعض المستويات الخطابية السائدة في الفكر العربي والإسلامي في تعاملها مع التصورات المعرفية والتاريخية والثقافية عبر ديوان محمد إقبال (جاويد نامة) أو (رسالة الخلود) لإدراك التطورات الحديثة التي تعين في قراءة الحاضر عبر مصطلحين هما مصطلح التنوير ومصطلح التجديد.

التجديد في فكر إقبال

إقبال وإثبات وجود الله

في إثبات وجود الله تعالى اعتمد محمد إقبال دليل الغائية والنظام الكوني، ذلك الدليل الذي اعتمده من قبل (محمد عبده) و(رشيد رضا)⁽¹⁾، ورؤيته في ذلك الدعوة للنظر إلى الكون وما فيه من بدائع الحكم ودقيق الصنع مع العظمة والاتساق والتناسق والإبداع والتجدد، وبالنظر إلى السماء وصفائها وإلى كواكبها وشموسها وأقمارها ومداراتها. وفي الطبيعة وتناسقها ونظامها وفي تركيب الإنسان وفي خلقه لنخرج من كل ذلك أن لهذا الكون خالقاً صانعاً موجوداً. وربما كان السر في إثارة لهذا الدليل على غيره وفي اتباعه هذا الأسلوب في عرضه أنه إنما يخاطب جمهوراً عربياً على سبيل التوجيه والارشاد لا على سبيل التأليف الفلسفي، كما أن لروح العصر وغلبة الاتجاه العلمي والمنطقي في أوائل القرن الماضي وقلة الميل إلى علم الكلام والفلسفة قد قادا إلى هذا التفكير.

(1) فلسفة المشروع الحضاري: بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: أحمد محمد جاد عبد الرزاق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، اميركا، ج3، ص783

فلسفة التجديد عند إقبال

إن أحد دوافع التجديد هو تفريط الأمة في سيادتها بعد أن سلمت دفة الحضارة لغيرها، وهذا قد استدعى تجديداً في الفكر الديني وغير الديني كذلك. ثم إن إعادة دراسة هذا الأمر يعني ببساطة نقداً للواقع لنرى دواعي هذا التخلف الذي يعيشه عالمنا العربي والإسلامي حضارياً ومعرفياً ومعيشياً وعلمياً واجتماعياً. ونقد الواقع بهذا المفهوم هو نقد للتجربة الإسلامية ولمنظوماتها المعرفية والتاريخية وفق أسس علمية وعصرية حديثة تستند إلى أصول صحيحة دون تأويل في نص قطعي واضح الدلالة.

تبرز فلسفة إقبال مجموعة القيم السامية في الحق والفضيلة وتتلخص مخرجاته المعرفية في نهضة الفرد التي تنبع من بناء الذات، فالذات القوية هي الذات السليمة التي تنهل من النبع الإسلامي الصافي الأصل وتستمد قوتها من تراكمات الماضي التليد والحاضر الجديد. ويسترعي انتباهنا في تأويل إقبال لبناء الذات دعوته إلى التحرر من ثقل القوالب الجامدة المتحجرة متيحاً للعقل حرية اكتشاف واستغلال إمكاناته الفكرية حتى يتمكن من وضع بصمته تجنباً للصرامة العقلية التي يعرفها روتيش بأنها: "عدم قدرة الشخص على تغيير أفكاره عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك" (2)

دعا إقبال إلى العبادة الحقة الخالصة لله تعالى، فالعبادة الحقة هي خير معراج للشخصية الإنسانية تعرج عليها إلى أعلى مستويات الكمال المقدور لها وهي بالتالي بلسم الحياة الإنسانية. فعبادة الله هي العون الأعظم على تمكين البشرية من حمل تبعاتها تجاه الجماعة وتجاه الحياة كما أعلى إقبال في فلسفته من العقل لكنه يرى أن العقل وحده لا غناء فيه ولا جدوى منه إذ لا خير فيمن لا يمتلك معه الروح العظيم الذي يهديه إلى الغيب وما فيه من أسرار. فالبشرية بلا روح تعبد الله وتعرفه محكوم عليها بالخسران.

ويرى إقبال أن حضارة الإسلام هي حضارة الإيمان والعلم والعمل، على أساس من التوازن المحكم بين عالم الغيب والشهادة وعالم العلم والكبح بكل مقوماته العقدية القيمية والبحثية، فحضارة الإسلام بذلك جديرة بلقب الإنسانية.

هذا من جانب بناء الفرد والذات في فكر إقبال أما من ناحية بناء الأمة والجماعة فقد ناقش إقبال ذلك من خلال مبدأ الحوار بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب. والسؤال الذي يتبادر لنا من بين أفياء أفكار إقبال هو: هل نحن مختلفون معهم فقط في العقائد الدينية؟ أي هل اتفاقنا مع الغرب المتحضر في كافة مناحي الحياة الدنيوية. فلم يبق من الميزان إلا ما يميز بين قوانين علمانية تناقضها عقائد إسلامية؟ ويرى إقبال أن أكبر فارق هو ما يقع تحت مظلة القمع السياسي والسطوة والاستبداد وحكم مصالح الفرد. فلماذا إذن لا يكون منبع أخلاق الغرب من ثقافة اجتماعية سادت مع مر الأزمان من جراء حرية اختيار وحرية تعبير وحرية اختلاف نبعت كلها من حرية سياسية سائدة مكنت للمؤسسات التعليمية من تعليم ما يحتاجه الفرد من المجتمع وما يقدمه المجتمع للفرد لكن ينقص المجتمع والأفراد الكمال الروحي والأخوة الإنسانية والإيثار الذي نستمدّه نحن من عقيدتنا، لكننا في الوقت نفسه نظل عاجزين عن تعاطيه من بعضنا البعض. عليه فلا بديل من ثقافة الحوار في إطار احترام الآخر وإشاعة قيم العدل بين شعوب الأرض.

إقبال وصراع التأويلات

نعني بالتأويل المعنى الجديد الذي يطرحه الناظر في ضوء فهمه واستيعابه غير المقيد بالثوابت النصية أو السياقية إلى معنى يحتمله بغية إيجاد رؤية جديدة. وقد طرح إقبال رؤى وأفكار جديدة بالمناقشة. ويجدر بنا قبل مناقشة أفكار إقبال أن نعرض لفكرة ذلك الصراع بين حضارات العالم وتأويلاتها وفقاً لمعاطيتها المختلفة.

لعل من أبرز المؤرخين الذين نظّروا لهذا التوجه الجديد هو (فوكوياما) فقد أُجري معه حواراً فيما يخص نظريته قائلًا: "إنني أؤمن بوجود نظام معين في التاريخ، تقوده الليبرالية

(2) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، ط2، 1996، مركز الإنماء القومي، بيروت. لبنان، ص20

الاقتصادية والسياسية، وقواها الفاعلة التي تنتهي إلى شكل معين من أشكال الاجتماع البشري⁽¹⁾ ويقول: "لم أقل يوماً ما، ولم أعن بنهاية التاريخ يوتوبيا معينة. يمكن تخيل طريق وأسلوب مختلف للتنظيم السياسي والمؤسسات الديمقراطية الليبرالية عبر الزمن، لكي تجعل من الناس أكثر سعادة، وهذا لا يعني أن الكل سيكون سعيداً لأنه من الأكيد أنه يوجد أيضاً الظلم وعدم المساواة ومشاكل أخرى لكن الإشكالية المطروحة هي: هل باستطاعتك حل هذه المشكلات دون مؤسسات ديمقراطية ودون دستور حديث".⁽²⁾ فهو أراد بهذا الطرح أن يؤكد أن حل هذه التناقضات يكون بالتحولات الديمقراطية وبالحرريات في العالم النامي، وتلك هي التي تسارع في نمو أفضل للمجتمعات النامية. ويرجع (هنتنغتون) صدام الحضارات إلى عوامل عدة، ولعل أهمها ما يمكن إيجازه في قوله: "إن الفروق بين الحضارات ليست فروقاً حقيقية، بل هي فروق أساسية تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد وأهمها الدين والحقوق والمسؤوليات والحرية والسلطة والمساواة والتسلسل الهرمي على مر القرون ولدت الاختلافات بين الحضارات أطول النزاعات وأكثرها عنفاً.⁽³⁾ لكن هناك بعض الباحثين من الغربيين الذين تصدوا إلى هذه الأفكار المعادية للشعوب مثل الفيلسوف (هانس كوكلر) الذي لا يرى تعارضاً ما بين الفلسفة والدين طالما لم يخلط المرء بينهما، فالذي لا يمكن للفلسفة تحقيقه هو الوصول إلى اليقين النهائي كما نجده في الإيمان والاعتقاد. ويرى أن الفلسفة خاصة على المستوى الميتافيزيقي ستلعب دوراً حاسماً في الحوار بين الديانات، ما دام الهم الرئيسي هو التعايش السلمي وليس الصراع العقائدي⁽⁴⁾ والحقيقة أن (هنتنغتون) لم يكن يتحدث عن بديل حضاري بمعنى إعادة تأسيس البني الثقافية أو التبشير بنموذج ثقافي معين، بل كان جل همه هو كيفية مراقبة التهديد الخارجي للغرب بما يحفظ للغرب تفوقه السياسي والعسكري والاقتصادي.⁽⁵⁾ وقد أدى ذلك إلى خلل في المعايير وتناقض أفضى إلى ظلم كبير. حيث أشار إلى ذلك (كوكلر) في معرض حديثه عن الظلم الذي حاق بالفلستينيين جراء تلك السياسات قائلاً: "إن السلطة السياسية للقوى العظمى متناقضة تماماً لمبدأ المساواة والتعاون السلمي كما نجدها في منظومة الأمم المتحدة ويمكن المشكل الأساسي في كون هذه المنظومة الأممية هي نتيجة فرضتها الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ولهذا السبب هي غير مستعدة لاقتسام هذه السلطة مع دول أخرى⁽⁶⁾ وعليه يصل إلى أن الحوار بين الشعوب والثقافات غير ممكن دون عدل أو مساواة. يرى محمد إقبال⁽⁷⁾ أنه لا سبيل إلى الخروج من هذا الصراع إلا بالدعوة لحوار بين هذه الشعوب وحضاراتها ودياناتها. ولعل هذا ليس ببعيد من فكر (هنتنغتون) نفسه الذي يرد على نفسه باستشهاده بفكرة (جيل كيبيل) الذي يرى أن إحياء الدين يوفر أساساً للهوية والالتزام يتجاوز الحدود الوطنية ويوحد الحضارات⁽⁸⁾. فالدين على ذلك ليس مصدراً لقلق أمة، كما أنه ليس محفزاً لأي نوع من أنواع الصراع ومن هذا المنطلق فليس هناك ما يدعو إلى صراع حضاري تحت هذه الأسباب التي تحدث عنها (هنتنغتون).

(1) تجليات العولمة الثقافية والسياسية في شعر محمود درويش مقارنة حضارية أدبية. فؤاد نصر الله مؤسسة الانتشار الأدبي. بيروت لبنان، ط1 2007، ص 57

(2) تجليات العولمة الثقافية: المرجع السابق، ص 51

(3) صمويل هنتنغتون: الصدام بين الحضارات، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. الخرطوم دبت، ص 50.

(4) هانس كوكلر: حوار بين عدنان دبي الثقافية، العدد (96)، 2014، دار الصدى للطباعة والنشر، ص 35

(5) تجليات العولمة الثقافية والسياسية في شعر محمود درويش، المصدر السابق، ص 35

(6) هانس كوكلر، دبي الثقافية، المصدر السابق، ص 35

(7) ولد محمد إقبال سنة 1873 في مدينة (سيالكوت) في ولاية البنجاب بالهند ونشأ نشأة دينية منذ صغره، درس في الهند ثم سافر إلى لندن ونال شهادة عالية في الفلسفة والاقتصاد، ثم سافر إلى ألمانيا، حيث تعلم الألمانية لينال بعدها درجة الدكتوراه في الفلسفة. وقد أتاح له ذلك أن يتعرف على الأدب الألماني والفكر الغربي وكان قبل ذلك قد درس اللغة الفارسية على يد أستاذه مير حسن في كلية البعثة الأسكوتية. وقد كان أستاذاً للتاريخ والفلسفة والسياسة في الكلية الشرقية في لاهور، كما عمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة لندن مدة غياب أستاذه أنولد. انظر: ديوان محمد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، نقله إلى العربية شعراً: حسين مجيب المصري دار ابن كثير، دمشق. بيروت ج2، ط3، 1428هـ، 2007م، المقدمة

(8) تجليات العولمة الثقافية والسياسية في شعر محمود درويش مقارنة حضارية أدبية: المصدر السابق، ص 51

في قراءة النص الشعري

يتم الحمل على الإقناع من خلال تفعيل ثلاث عمليات خطابية هي: تعليمية الخطاب وتأثيرية الخطاب وفاعلية الخطاب وشمولية أدواره فالخطاب يجب أن يلامس العقل والعاطفة. كما يمر الحمل على الإقناع بما هو مخاطبة للعاطفة وملامسة للقلب بتفاعل تلك العمليات من جهة وبالنواحي الثقافية والحضارية من جهة ثانية والتي يضمن توفرها المحاج أو الخطيب أو الشاعر داخل عقل مخاطبه أو ضمائر جمهوره الموجه إليه الخطاب، كما يقتضي التأثير في السامع وجود الذاتية في الخطاب⁽¹⁾. ولكي يكون الخطاب فاعلاً ومؤثراً استخدم إقبال عدداً من التقنيات في معرجه لتسويق الغريب والبعيد في تقديم فكرة عدم احتكار المعرفة بعد أن باح الجميع بالأسرار وقد استخدم رمزية الزمان الكلي المتمثلة في قصة المعراج ليبين قيمة التحولات الكبرى في الكون ليصبح الجميع أنقياء كالصفحة البيضاء تجمعهم المحبة. ويعد الحجاج سمة بارزة في الديوان. والقارئ المتأمل في شعر محمد إقبال يلمح بعداً دعوياً جديداً في شعره، وهو ميل الشاعر إلى المحاوره سراً وجهرًا في هدوء وتلازم.

ظل محمد إقبال دائم الدعوة إلى السلام النابع من روح الإسلام وإلى زرع قيم التسامح بين الحضارات والأديان وهي فكرة راسخة في الدين المسيحي كما هي في الإسلام أيضاً. فبدأ يعمل على بناء فلسفة جديدة تؤدي إلى التوفيق في الحياة على أساس تربية الجيل الجديد بتقوية الذات، ومن ثم السعي إلى وضع أسس التنوير من خلال إقامة المجتمع المدني القائم على مراعاة الحقوق والحريات بعد بناء النفس وتقويتها وحثها على العمل والجد. كما أشار إلى أطماع الاستعمار في الدول النامية في إفريقيا وآسيا، متناولاً العديد من القضايا الشائكة والمعقدة. داعياً إلى ضرورة أن ينشغل المسلم بمحيطه الإقليمي والعالمي غير منغلق على قومية أو قبلية. وهو ما أراه في هذه الدراسة من خلال قراءة ديوانه.

عن الديوان

قسم محمد إقبال ديوانه إلى عدة دواوين أهمها ديوان (جاويد نامة) أو رسالة الخلود، إذ يعد هذا الديوان ذروة سنام محمد إقبال الشعري، حيث تتجلى فيه قوى الشاعر الفكرية والفلسفية، فقد حشد الشاعر في هذا الديوان الشعري ما قرأه من دراسات في الفكر والثقافة والفلسفة. فتكونت لديه حصيلة وافرة من علوم الشرق والغرب أحدثت أثراً عظيماً في رفد أدبه وفلسفته بروافد غنية ومتنوعة. وقد اختار الملحمة كجنس أدبي له خصوصياته الفنية الواسعة حتى يستطيع أن يبث أفكاره بحرية وسعة أداء.

يشتمل ديوان رسالة الخلود على عدة أقسام وفيها يحكي الشاعر قصة سفره إلى الأفلاك وهذا شبيه بمعراج سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ولعله قد اطلع على قصة (دانتي) الإيطالي (الكوميديا الإلهية)⁽¹⁾، إذ تمثل القصة عند (دانتي) إحساسه بتقاهة حياته والشر الذي كان يراه في مجتمعه، حيث تبدأ القصة بدانتي المفقود فيتقابل مع الشاعر الروماني (فيرجيل) الذي يعده بأن يخرج من الغابة ويقوده إلى رحلة في العالم الآخر، وهناك يريان جموعاً من الأفراد يعانون العذاب، والملعونون هؤلاء شخصيات تاريخية معروفة جداً بعضها من عصر سابق لدانتي وبعضها معاصر لهم، غير أن معظمهم من عصر (دانتي) نفسه⁽²⁾. وواضح أن قصة دانتي تشبه

(1) بحوث في البلاغة الجديدة: القضايا والتحويلات، علي الشبعان، مكتبة المتنبي 2012م، ص 143

(1) قد وجدت مئات من هذه الرؤى والقصص؛ لكن هذا لا ينفي مطلقاً تأثير دانتي بمعراج الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كانت ترجمة معراج محمد (ص) متاحة في زمانه، كما أن دانتي أراد من كتابه هذا الثورة على الكنيسة بالخروج على لغتها إلى العامية الإيطالية لكن هذا الخروج لم يشأ أن تكتشفه الكنيسة فعمد في رحلته إلى إخفاء مصادره الإسلامية، مظهرًا جانب التطهير في النقيض أو المقابل للجحيم خلافاً لفيرجيل الذي لم يذكر التطهير.

(2) تبدأ القصة بدانتي المفقود في غابة مظلمة وفي يوم جمعة صحو وبعد ليلة من التجوال المؤلم، يتقابل مع الشاعر الروماني فيرجيل الذي يعده بأن يخرج من تلك الغابة ويقوده إلى رحلة في العالم الآخر ويدخلان الجحيم، وهو حفرة فظيعة على هيئة مخروط عميق في باطن الأرض وفي الحفرة تسع دوائر، حيث يريان جموعاً من الأفراد يعانون العذاب الذي تصبه فوق رؤوسهم الوحوش الخرافية، وذلك عقاباً على خطاياهم. انظر الكوميديا الإلهية (الفردوس المفقود) انظر: الشاعر الإيطالي دانتي الجيبري "ترجمة: حسن عثمان. الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) مصر. 2013 م. ص 60.

رسالة الغفران والتي تشبه إلى حد كبير رسالة الزوابع والتوابع لابن شهيد الأندلسي فكل من القصيتين اتخذت عالماً آخر غير دنيانا غير أن ابن شهيد قد اتخذ من عالم الجن مسرحاً لأحداث قصته كما اهتم بالقضايا الأدبية بينما اهتم أبو العلاء المعري بالمشكلات الفلسفية والقضايا الدينية. وهذا شبيه بما ذكره محمد إقبال، حيث تبدأ الملحمة بمقدمة فيها مناجاة وفصول أخرى، إلى أن تظهر روح جلال الدين الرومي الذي يشرح أسرار المعراج، وهو دليل الشاعر في هذه الرحلة، ثم يأتي (زوراية) وهو روح الزمان والمكان، فيحمل الشاعر ودليله (جلال الدين الرومي) إلى العالم العلوي. ونلمح العديد من أوجه التشابه بين هذه القصص وبين معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن أوجه التشابه بينهما نرى أن هندسة الأجواء السماوية التي تم عبرها رحلة المعراج هي نفسها في هذه النصوص وكما كان جبريل مرشداً لسيدنا محمد (ص) في قصة الإسراء والمعراج كان (فبرجيل) مرشداً (لدانتي) في الكوميديا الإلهية، و(جلال الدين الرومي) مرشداً لـ(محمد إقبال) في معراجه ونلمح ذكراً لعدد من الأنبياء والرسول لاقوا الرسول (ص) في السموات العلى، كذلك نلمح عدداً من الشخصيات هم العلماء والمفكرون في نص (دانتي) وبعض الأدباء والخطباء في رسالة ابن شهيد. كذلك من حاورهم إقبال من القادة والمفكرين (إقبال).

معاني ودلالات رحلة الشاعر إلى الأفلاك

يصعد الشاعر في الديوان إلى الأفلاك في الفضاء الكوني في رحلة روحية عقلية تحمل في مضامينها أفكاراً لنقد الذات ودعوة للحوار والتأملات يهدف من ورائها إلى خلق شخصية قوية متحضرة تعي واقعها وواقع العصر الذي تعيش فيه، شخصية قوية ناضجة ويتجلى ذلك في قوة الذات النابعة من قوة الفكر، لذلك نراه قد صحب في رحلته المفكرون والفلاسفة والقادة والصوفية الذين تتوافق أفكارهم مع أفكاره لذا نراه ينحاز إلى جلال الدين الرومي في فلسفته التي تقوم على مبدأ العشق والعقل ويتمثل ذلك في رحلة الشاعر إلى فلك القمر وفيه يتقابل الشاعر وجلال الدين الرومي مع الحكيم الهندي الذي أثر الخلوة في غار من غيران القمر، وفي إجابات الشاعر على أسئلة الحكيم الهندي نلمح من خلال الحوار دعوة الشاعر إلى التأمل في كنه العلاقة بين المعبود والخالق، حيث يقول: (1)

غاص شيخ الهند في صمت قليلاً فرأني تهت في فهمي ملولاً
قال موت العقل؟ قلت ترك فكر قال موت القلب؟ قلت ترك ذكر
قتل الإنسان؟ أبدي سره قلت: كون؟ قال وجسمه شطره
قال علم؟ قلت فشر لا يطيب والدليل؟ قلت: وجه للحبيب

ويتسع أفق هذا التأمل إلى آفاق أرحب وسنأتي إلى تفصيل ذلك يقارن الشاعر على لسان (سعيد حلیم باشا) بين الشرق والغرب ويبين أن إنقاذ خلاص الجنس البشري يكمن في المزج والتأليف بين كلتا الثقافتين، أو كما يعبر الشاعر في تزواج العقل بالعشق، قائلاً: (2).

إن في الغرب الذكاء أصل الحياة سر الهوى في الشرق سر الكائنات
ويعشق بعرف الله الذكاء ولعشق بالذكاء ذا العلا
إذا لعشق الذكاء صادقاً عالماً آخر حقاً
أنهضن العالم الثاني اصنعن بالذكاء ذلك العشق أمزجن
غاص شيخ الهند في صمت قليلاً فرأني تهت في فهمي ملولاً

ويقول أيضاً (3)

علمنا بالعشق علم المؤمنين وبغير العشق علم الكافرينا

(1) ديوان محمد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، نقله إلى العربية شعراً: حسين مجيب المصري دار ابن كثير، دمشق. بيروت ج2، ط3، 1428 هـ، 2007 م، ص 164

(2) نفسه 2/ 198

(3) نفسه 2/ 210

فهو يعتبر العشق قوة كونية هائلة وطاقة كامنة، والعشق عنده سر من أسرار الوجود وصفة من صفات الله ينبغي أن يتخلى بها المؤمن لأنه قرين الصدق وصفاء النفس والقلب ثم السلام الدائم الذي تنشده البشرية وهو الأمر الذي يفتقده أهل الكفر والضلال. والعشق قرين الحب وعند أهل الجماعة يقف على رأس الفضائل ولابد أن يكون خالصاً لله تعالى وهنا يمنح الإرادة مضاء لا يعرف اليأس وعقلاً لا يعرف الظلمة. ويرى إقبال أن الشرق قد ركز على الروحانيات بينما الغرب قد ركز على الماديات مهملاً الروحانيات، حيث يقول (1):

شاهد الشرق الإله وحده وأشاح الغرب عنه خده
ولعله كان يدرك أن مشكلات العالم كثيرة وستزداد كثرة، وستختلف الأمم عليها، ويتضح ذلك جلياً الآن من خلال النظر إلى صراع العالم اليوم ضمن سياق إيديولوجية عالمية لا تلتفت لمبدأ التفاهم والحوار الذي يمكنه تقديم تطلع نحو مولد المنقذ الذي يتحلى بالحكمة. فنجاح عملية العولمة الحالية مرتبط بكونها رسالة من أجل السلام للبشرية جمعاء.

التأمل أساس الحوار

إن محاولة إقبال الفلسفية هدفت فيما هدفت إليه أيضاً إلى تقديم الإسلام باعتباره رسالة إلى الإنسانية جمعاء في الوقت الذي سيطرت فيه المادية المادية والتجريبية والواقعية على المعرفة الإنسانية بمادياتها وبعدها عن الروحانيات وجعلت المسلم وغير المسلم يعيش في صراع مع نفسه وواقعه. وانطلاقاً من ذلك دعا إلى التأمل في الكون والطبيعة قائلاً (2)

قد سألت الورد ذا الصدر الجريح أي حسن لك من طين وريح
فأجاب يا حكيماً ما شعر بخمود البرق هل يأتي الخبر
روحنا في الجسم جذب وانجذاب منك ما يخفى لدنيا كالسراب
فهي دعوة إلى التأمل في هذا الكون وما فيه من أزهار وأطياف ورياح، غير أن الناس غافلون لا يبصرون هذا الجمال الكامن في الطبيعة. وهذا الحوار يوجد في أساس كل علاقة سليمة بين الإنسان وأخيه الإنسان، بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والتاريخ، ومنذ القدم ظلت الديانات الكبيرة تعلم البشر قبل كل شيء ذلك الحوار مع الله سبحانه وتعالى، ومن ثم مع الطبيعة والتاريخ. والإسلام منذ القدم جاء ليذكر الإنسان بالله، وليذكره بالحوار مع الله خالقنا جميعاً (3). وهو الذي يعطى القاعدة الصحيحة والمعنى والفحوى السليمين لأي حوار آخر حتى بين الإنسان والنبته الصغيرة الضعيفة. ولذا فإن الإسلام بعد الإنسان مسئولاً عن طبيعة الحوار بين البشرية وبين الله عز وجل وبهذا يكون الإسلام هو الرقيب الدائم الذي يسهر على حوار الإنسان مع الله عز وجل وهذا يوضح اهتمام القرآن الكريم في كثير من المواضع بدعوة الإنسان إلى التفكير في الآيات الإلهية في آفاق الكون الظاهرة والباطنة وفي آفاق التاريخ، وقد دعا القرآن إلى التأمل في هذا الكون، وفي هذا حوار بين الله والإنسان. وكل هذا من أجل إعداد الإنسان ليخلق حواراً صحيحاً مع خالقه سبحانه وتعالى ومن يقرأ آياته قراءة صحيحة، فسيتمكن بشكل سليم من الدخول في حوار ليس فقط مع الله سبحانه وتعالى، بل مع الآخرين من بشر وأديان وحضارات وتراث، وسيدخل في حوار شفيف مع الطبيعة يحفظ للطبيعة عفتها وشرفها، يقول محمد إقبال في قصيدته: (تمهيد سماوي) مفصلاً عن ذلك (1):

هذه الشمس أقامت خيمة
الجبال ليس فيها من نهر
زانها التبر رسوماً جمّة
والفيافي تحت غيم ما انهمر

(1) الديوان 163/2

(2) نفسه 166/2

(3) الحوار الفلسفي بين الأديان: المصدر السابق، ص 21

(1) الديوان 144/2

ما شددت في الغصن طير بالغناء لا ولا في المرج سرب من ظباء
يملك العقل من الدنيا العنان ولهذا العشق غزو اللامكان
يرى محمد إقبال أن الإنسانية اليوم في سن الرشد، وان أزمتها الروحية هي أزمت هذه السن كما
تعودناها في سن النضج وحيثما وصل إليها الكائن الحي، ولا سيما الكائن الحي من بني آدم وحواء.
فيقول⁽²⁾:

إنما الإنسان سيف للعدالة ذلك الكون مسن قد تراه
ويواجه العالم اليوم سؤالاً كبيراً: وهو هل ستحتل عملية العولمة اليوم بعنصر روحاني
من كنوز الديانات القديمة كاليهودية والنصرانية والبوذية التي لا تعترف بالحوار؟ ويجب على
ذلك إقبال بأنه لا سبيل إلى العيش بسلام دون الرجوع إلى جذور هذه الديانات وتعليمها، ثم يقدم
للجميع بضاعة الإسلام التي تحت دائماً إلى الاعتراف بالأديان السماوية كلها وباحترام معتقدات
الشعوب والأقليات حيث يشير إلى ذلك في ثانياً تعاليمه لمرديه قائلاً⁽³⁾:
رجل الله يلوح مثل برق حطباً يجعل من غرب وشرق
والكليم والمسيح والخليل والنبى والكتاب وجبرائيل
فقد جمع في هذا البيت بين الخليل إبراهيم موسى وعيسى والنبى محمد عليهم أفضل الصلوات
والسلام دلالة على التآخي وتوحيد الله سبحانه وتعالى، ويمضى في مكان آخر أنه ليس لهذا الكون
غير رب واحد، والكل عند الله سواسية لا فضل للون على لون، حيث يقول⁽⁴⁾:

ما لرب الكون لون، وهو لون
أي رب أي إنسان وكون
فالإسلام دين إنساني يخاطب الأمم جميعاً فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو اللون أو
اللغة متجاوزاً الحدود والتقسيمات، سواء أكانت حدوداً سياسية أم معرفية أم ثقافية، ولا سبيل
لتحقيق ذلك إلا بالإسلام، فمن أراد البحر استقل السواقياً. فهذا المفهوم الذي يأخذ في حسبانته الكل،
هو مفهوم العولمة عند شاعرنا الذي يراه يملك فرص النجاح. بينما العولمة التي يخطط لها لتكون
عولمة للسيطرة بالقوة يرى أنها مكبلة محكوم عليها بالإخفاق منذ البداية وستندلع الانتفاضات
والحروب ضد تلك العولمة، وسيكون الرد على الحرب بالحرب، وستمنى عولمة السيطرة والقوة
بالإخفاق الذريع تماماً كما حدث مع الاستعمار الذي كان مشروعاً لعولمة السيطرة والقوة بتدبير
خاطي ومركزية أوربية.

نستخلص من كثير من قصائده معاني ودلالات تدل على حرص الشاعر على إنشاء حوار
بين الفرد والقوى أو الذات الكاملة وبين الجماعات التي تعيش فيها ومن القضايا الرئيسية فيه: علاقة
الفرد بالمجتمع وربطه بالمبادئ الأخلاقية والاجتماعية، فيقول⁽¹⁾:

إنما الدين احتراق في القلب وهو عشق ثم يتلوه الأدب
أنت إنسان؟ أخاك فاحترم ليس منا غير هذا من علم
تربط الناس جميعاً عروة منك في هذا الطريق خطوة
ولغاية أن يكون الفرد قوياً فلا بد أن يكون متمسكاً بالله رب العالمين، قائلاً⁽²⁾:
كن قوياً واجمع بالدين اليقينا واربط القلب برب العالمينا

فإقبال شاعر مناضل مؤمن بالذات ليس على اعتبارها وحدة تنال وليست فلسفة أسئلة عن
الحقيقة بل وصايا لمن يريد أن يعرف كيف يكون النضال في سبيلها، ونلمح من خلال قاموسه
مفردات صوفية كالوردة والبستان والزهرة وهذه قد جاءت إلى التصوف من تأثير فارسي،
فالإمبراطورية الفارسية كانت ذات إرث عريق في الميثولوجيات والتفكير الميثولوجي. غير أن هذا

(2) نفسه 163/2

(3) نفسه 333/2

(4) نفسه 163/2

(1) الديوان 333/2

(2) نفسه 330/2

لم يكن كافياً ليشكل مرجعية أدب إقبال، فقد كان يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن هنالك فصلاً لابد أن يقوم بين ما هو فردي وبين ما هو جمعي، بين السلوكية الدنيوية وحاجات الفرد من الغريزة المباشرة وصولاً إلى الحياة الفكرية الراقية وأيضاً بين حاجاته الأخرى أي الحاجات الروحية⁽³⁾. وعند ذكر الحوار مع الطبيعة، فلا بد من الإشارة إلى أن العلوم الحديثة التي تشارك في تحديد ما يدعى بالرؤية العلمية للكون، تلك العلوم قد قامت على أساس من نسيان الإنسان للحوار مع الله تعالى وحواره مع عوالم الطبيعة المحيطة به. وهي تمثل بحد ذاتها حواراً مستتبداً يتحول إلى صراخ وعصيان للأوامر السماوية الربانية⁽⁴⁾ وفي ذلك يقول⁽⁵⁾:

نكسوا الأوضاع في أيامنا نهبوا الأموال من أقوامنا
استمدوا بطش إبليس الرجيم تصبح الأنوار ناراً للجهنم
قتله مازال كالأمر الصعب إنه قد ضاع في عمق القلوب

ولعل في دعوته إلى الحوار بين الذات والمجتمع وبين الإنسان والطبيعة هو ما يصلح أن نتخذه اليوم طريقاً جديداً للتقارب بين الجميع ولنسمه الحوار الفلسفي بين الأديان بدلاً من صراع الحضارات. وقد بدأ أمر اتجاه الحوار مع الغرب المترافق مع الانكفاء والامتناع عن فتح الحوار مع الذات يحمل في طياته قفراً عن الواقع المر وهروباً مخزياً إلى الأمام، وأفضى ذلك الهروب للحوار مع الغرب بلا مشروع فكري قائم على المفاهيم والأفكار والقيم التي تكون أساساً صحيحاً ومعايير منطقية لنقد الغرب ونقد الشرق ونقد الذات⁽¹⁾ إلى المزيد من التعقيد والخسران.

مرجعيات إقبال

إن لكل شاعر أصوله الفكرية ومرجعياته الفنية، التي تمثل مهاده الذي يتحرك من خلاله في انسيابية ورشاقة، فلئن كان النص الشعري محاطاً بالظروف الموضوعية التي أفرزته فهو في متنه مفتوح على قضايا متدرجة ومتعددة. ففي زمان الحرب العالمية الأولى كان إقبال ينظر إلى الجيش التركي نظرة الأمل إلا أنه حين أخذ الإنجليز يعملون على الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر من الترك تحطمت آماله وحينئذ ظهرت في أفكاره ثورة عارمة تعارض أشد المعارضة فكرة الاعتماد على أهل الغرب، ثم يدعوا العرب لمناهضة الاستعمار.

ولكنه كان عادلاً في نظرته لبعض الغربيين، لما قدموه للتراث العربي والإسلامي من خدمات، ومن هؤلاء (تولستوي) الذي أظهر كل الاحترام للموروث الشعبي العربي والدين الإسلامي ووضع مؤلفه (حكم النبي محمد (ص)) بين يدي الروس بلغتهم واصفاً إياه (ص) بأنه مؤسس دين ونبي الإسلام الذي يدين به أكثر من مائتي مليون إنسان. ويقول: "ومما لا ريب فيه أن النبي (ص) كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ويكفيه فخراً أن هدى أمة بأكملها إلى نور الحق وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق المدينة وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص مهما أوتي من قوة ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإجلال"⁽²⁾.

كما يظهر تأثر ليو تولستوي بألف ليلة وليلة في روايته: "لحن كريستر" ذلك الفيلسوف الأخلاقي الذي اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف ألف كتابه: "مملكة الرب بداخلك" الذي أصبح نبراساً للمناضلين السلميين فيما بعد مثل المهاتما غاندي ومارتن لوتر... وقد لف أعماله بخيط

(3) المرجعيات في النقد والأدب واللغة: أبو نواس اشكالية المرجعية: صلاح الدين يونس، مؤتمر النقد الثالث عشر اليرموك. الأردن، ج1، عالم الكتب 2010م، ص4.

(4) الحوار الفلسفي بين الأديان: السابق ص: 23.

(5) الديوان 2/ 209.

(1) الحوار مع الغرب: مفيد أحمد ديوب. دبي الثقافية، العدد 105. دار الصدى للطباعة والنشر والتوزيع. الإمارات العربية المتحدة. فبراير 2014م، ص83.

(2) مجلة بيت الشعر: من الغرب: ليو تولستوي: سادن الأخلاق، هاني نديم.. مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام العدد 27 أكتوبر 2014م، ص114.

أخلاقي رفيع يحس ولا يرى⁽¹⁾. ويقول مستوحيا أفكار ومواقف تولستوي الذي لم يكن مسيحياً متعصباً بل متسامحاً يقبل دين الفضيلة حيثما وجد ومن هنا يقول في قصيدته: رؤيا تولستوي الحكيم⁽²⁾:

شامخ قد ضم أنواع الممات فيه واد مابه رفّ النبات
والغدير زنبق قد فار فورة وهو يجري دافقاً مثل المجرة
وعلى الشط رأيت غانية لحظها يأسر ألف سارية
علمت سحرها العباد كفرا سرّها الخير وكان الخير شرا
يا ترى من أنت فلتجيبني ما بكاك بل وصول النحيب
إن في عيني سحر السامري واسمي أفرنكين واسم الساحر

وأفرنكين: من فرنكي في الفارسية بمعنى الإفرنجي في العربية وقد جسد إقبال التفرنج على أنه أفسد المسيحية الأولى. ويرى إقبال أن المسيحية البدائية باعتبارها لوناً من الإيمان والتفكير لم تستطع بناء وحدة سياسية ومدنية، بل كانت نزعة رهبانية في عالم غير طهور، وذلك لا يكون في الإسلام لأن الإسلام كون مجتمعاً سياسياً ومدنياً منذ الأول⁽³⁾.

استلهم إقبال في تجربته الشعرية لغة القرآن، وآياته وفحواها، وبثها في بنية النص الشعري الداخلية، فأغنت النص دلاليًا بانفتاحه على عوالم متعددة، فأثمر هذا التداخل وأسس رؤية شعرية مكثفة ذات دلالات إيحائية عظيمة فكان توحيد الله وتعظيمه، وربوبيته ووحدانيته كما في قوله⁽⁴⁾

ثم (ما زاغ البصر) يضحي النصيبا
لمقام (عبده) تسمي الرقيب

حيث يريد من تضمين قوله تعالى من سورة النجم الآية 17 "ما زاغ البصر وما طغى" أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب. وقد رأى من آيات الله الكبرى ليلة المعراج ما رأى. أما قوله (عبده) فالمقصود به جبريل عليه السلام فقد أوحى له أن يوحى لنبيه محمد ما أوحى به ولم يذكر الموحى تعظيماً لشأنه.

استدعي محمد إقبال في رحلته الكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة ومن هذه الشخصيات البارزة شخصية جمال الدين الأفغاني، حيث يحكي محمد إقبال أنه خرج مع شيخه ومربيه الروحي والفكري الشيخ جلال الدين الرومي في سياحة روحية فكرية ومر في جولاته الخيالية بمنازل كثيرة التقى فيها بشخصيات ماضية من أصحاب الديانات والفلسفات وقادة الفكر والرجالات وتحدث معهم في مسائل كثيرة. ومر في رحلته بمنزل بكر لم يطأه آدمي بقدمه، وظهرت فيه الطبيعة بجمالها وتمثلت فيه الدنيا بسهولة وجبالها وميادينها، وأقبل إلى شيخه الرومي فقال وقد قرع أذنه صوت عذب رقيق فقال مالي أسمع الأذان ولا أرى أثر إنسان؟ فإذا إمام الصلاة الشيخ جمال الدين الأفغاني. وبواصل إقبال الحكيم قائلاً: "وأقبل علي السيد جمال الدين فقال حدثني يا عزيزي عن العالم الذي عشت فيه زمناً وعن المسلمين، فقلت: يا سيدي لقد رأيت في ضمير الأمة التي خلقت لتسخير العالم معركة حامية وصراعاً دامياً بين الدين والوطن، لقد ضعف الإيمان في قلب هذه الأمة ففقدت روحها وقطعت الأمل عن سيطرة الدين وسيادته." ويمضي قائلاً: "سمع الأفغاني كل ذلك في صبر وأناة وفي تألم وحزن ثم انفجر قائلاً: "إن اليافعة الأوروبية هو الذي علم أهله الوطنية والقومية أما هو فلا يزال يبحث عن مركز لجميع الشعوب والأوطان ولكنه بذر في الشرق بذور الخلاف وشغل شعوبه بمصر والشام والعراق فتحرر أيها المسلم الشرقي وكن عالمياً آفاقياً يعتبر كل بلد وطن وكل أرض أرضك"⁽¹⁾

(1) الديوان، ص 114

(2) نفسه: 2/ 176

(3) تجديد الفكر الديني في الإسلام: ترجمة عباس محمود، دار التأليف والترجمة والنشر. مصر 1955م، ص9.

(4) الديوان: 220/2

(1) الديوان: 128/2

وهذه دعوة إلى نبذ التنافر والتناحر بين أهل الوطن الواحد كما هي دعوة إلى بث روح المحبة فكل ديار المسلمين وطن وكل المسلمين أخوة.
ولا مشاحة في أن الشاعر من خلال استدعاء شخصيات كبيرة ومؤثرة في الفكر والحياة الإسلامية استطاع التأكيد على أن الدين الإسلامي زاخر بالشخصيات المليئة بتراتها الروحاني وعمقها الفكري، كما أن عمق التحاور المرجعي مع شخصية كشخصية الأفغاني من خلال قدرة الشاعر على التفاعل مع الشخصية المستدعاة ومحاورتها قد أدي وظيفة بنائية في النص وأكسب الصورة الشعرية ثراءً وغنى نتيجة استعادة تجارب السابقين والنهل منها وتوظيفها توظيفاً يرتبط مع رؤية الشاعر⁽²⁾

كما طاف بنا وطوف في تراث الهند والفرس والأفغان معروفاً بكثير من الشخصيات التي لعبت دوراً كبيراً ومؤثراً في الإسلام وفي وجدان شعوبها، قد تكون خافية على القارئ العربي والثقافة العربية، وقد أكد بهذا الصنيع شمولية الدين الإسلامي وسعة فكره وثقافته، ومن هؤلاء الذين تحدث عنهم الشيخ أحمد السرهندي المتوفى سنة 1564م وهو من أكبر المفكرين في بلاد الهند وكان ضد غلاة المتصوفة. ومنهم الأمير سيد علي همداني رجل دين مرموق المنزلة وكان صاحب مشورة أمير كشمير ولد في همدان وأفاد الناس بعلمه توفي سنة 1380هـ. والشاعر ملاً طاهر غني كشميري، شاعر من أهل كشمير كانت وفاته عام 1669ح وكان واسع الخيال ميالاً في شعره إلى التمثيل والتخييل، يقول⁽³⁾:

هو ذا طاهر غني أو خير شاعر الفقير وغناه منه ظاهر
وعلى فقره ورقة حاله عرف بغنى النفس والعفة والترفع عن الصغائر فكان اسماً على مسمى.

لعل محمد إقبال قد اطلع على بعض الفلسفات، مثل الوجودية، فقد ناسبت بعض مفاهيم الوجودية حالة العصر الراهنة، حيث ساد القلق والخوف والألم والمعاناة والإلحاد وغير ذلك. وهم يرون أن طريق المعرفة الباطنية والتفكير الباطني يمكن أن يقود الإنسان إلى الله، كما يمكن أن يقوده إلى العدمية أيضاً، غير أنها كانت تدعو إلى إنسانية جديدة انطلاقاً من حرية الإنسان⁽¹⁾.

خاتمة

وبعد لقد عجزت الفلسفة اليونانية عن إصلاح النظام السياسي والاجتماعي، ولكن الناس لم يكادوا يدرسونها في العصر الحديث حتى فتحت أمامهم أبواب الأمل وانتهت إلى ما هم فيه الآن من رقي فما بالها أخفقت قديماً وفازت حديثاً؟ إن هؤلاء الفلاسفة اليونان كانوا أرقى من الأجيال التي عاشوا فيها ولم يكن بد من أن تنتظر فلسفتهم قرناً حتى يتم فيحسن استثمارها⁽²⁾
ولعل هذا شبيه مما كان على أيام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وعلي رشيد رضا، فلعل في إحياء أفكارهم أن يوجد نهضة شاملة في كافة مناحي الحياة ولعل صنيعنا مع محمد إقبال مما يصب في هذا المكان أيضاً.

خلاصة:

- 1- لقد استطاع إقبال أن يتشرب الآيات ويفجر طاقات في الكلمات والتراكيب ويكسبها لغة شعرية قادرة على التعبير عن آرائه وانفعالاته الغزيرة، لغة مؤدية للمعنى الذي أراد التعبير عنه وهو الدعوة إلى السلام والمحبة وذلك لن يكون إلا بالحوار بين كل الأديان وكل الحضارات.
- 2- نلمح من معاني شعر إقبال إلى أن دعوته إلى الحوار بين الأديان نابعة من روح الإسلام، فقد كانت للإسلام عبر تاريخه رؤية عادلة للعوالم الروحية والثقافية والحضارية.

(2) المرجعيات في النقد والأدب واللغة: السابق، ص، 374.

(3) الديوان 2/ 288

(1) الاتجاهات الوجودية في الشعر العربي الحديث: محمد ثناء الله الندوي، مطبعة جامعة عليكرة. الهند، ط1، 2007 م، ص 80

(2) قادة الفكر: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة. مصر، 2012م، ص84

- 3- يرى إقبال أن حوار الإنسان مع الله يوجد في أساس كل علاقة سليمة وحوار صادق بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والطبيعة وبين الإنسان والتاريخ.
- 4- كما وقف إقبال عند الخالق عز وجل، وتفكر بقدرته وصفاته، فأعلن إيمانه المطلق وفاض شعره اعترافاً و يقيناً بوجوده، فأخذ يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل، ولا يخفى ما في ذلك من دلالات قوية تقوى بقوة الإيمان وصدقه. كما ربط إقبال أيضاً الإيمان بالعمل، فلا عمل بلا إيمان، ولا إيمان بلا عمل. وحرص على نشر روح المحبة والتسامح وهو ما كانت تدعوا له جميع الأديان السماوية.
- 5- وقد أظهر الشاعر براعة في توظيفه لمعاني القرآن، حيث بني إقبال نصه الشعري على فكرة النص القرآني فاستطاع الشاعر أن يوظف معاني الكثير من الآيات للتعبير عن تجربته الخاصة في الذهاب بالدعوة إلى أقصاها.
- 6- حاول محمد إقبال أن يشيع ثقافة التسامح، وثقافة المساواة وثقافة الاستقامة في الحياة، وأن يدعو إلى حضارة الآ عنف وإلى حضارة التضامن، وأن يبين القاسم المشترك بين اليهودية والمسيحية والإسلام وهو الإيمان بوحداية الله الواحد الأوحد.

الهوامش

- 1- صمويل هنتغتون: الصدام بين الحضارات، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق. الخرطوم د.ت.
- 2- ديوان محمد إقبال، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، نقله إلى العربية شعراً: حسين مجيب المصري دار ابن كثير، دمشق. بيروت ج2، ط3، 1428هـ، 2007م.
- 3- الحوار الفلسفي بين الأديان بدلاً من صراع الحضارات: انس كاريتش مجلة الفيصل. دار الفيصل الثقافية العدد 305 ذو العقدة 1422 هـ يناير - فبراير 2002 م.
- 4- تجليات العولمة الثقافية والسياسية في شعر محمود درويش: فؤاد نصر الله، الانتشار العربي، 1995- 2004.
- 5- محمد إقبال الشاعر المفكر: حديد السراج، مجلة المنبر العدد الرابع، ربيع الأول 1429 هـ. مارس 2008م، الخرطوم السودان.
- 6- المرجعيات في النقد والأدب واللغة: أبو نواس اشكالية المرجعية: صلاح الدين يونس، مؤتمر النقد الثالث عشر اليرموك. الأردن، ج1، عالم الكتب 2010م.
- 7- الاتجاهات الوجودية في الشعر العربي الحديث: محمد ثناء الله الندوي، مطبعة جامعة عليكرة. الهند، ط1، 2007 م.
- 8- مجلة دبي الثقافية، العدد 105. دار الصدى للطباعة والنشر والتوزيع. الإمارات العربية المتحدة.
- 9- مجلة دبي الثقافية، العدد 96. دار الصدى للطباعة والنشر والتوزيع. الإمارات العربية المتحدة.
- 10- مجلة الكلمة، العدد 47، السنة الثانية، 1426هـ، 2005م.
- 11- مجلة بيت الشعر: من الغرب: ليو تولستوي: سادن الأخلاق: هاني نديم - مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام العدد 27 أكتوبر 2014
- 12- واقع الدراسات النقدية العربية الحديثة: رؤية جديدة في بحوث عبد الله الطيب، بمجمع الخالدين بالقاهرة. جامعة اليرموك. عالم الكتب الحديث. الأردن، 2013م.
- 13- العيون الرامزة: قراءة في ديوان وردة على جبين القدس: للشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد، مكتبة الطالب أم الفحم. فلسطين، 2014
- 14- بحوث في البلاغة الجديدة: القضايا والتحويلات، علي الشبعان، مكتبة المتنبي 2012م.
- 15- الشاعر الإيطالي دانتي الجيبيري " ترجمة: حسن عثمان. الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) مصر. 2013 م.
- 16- قادة الفكر: طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة. مصر، 2012م
- 17- فلسفة المشروع الحضاري: بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: أحمد محمد جاد عبد الرازق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، اميركا، ج3، ص783